Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى المهتدي فالمتوكّل. وأخيرًا أطلّ على مسرح الشعر أبو الطيّب المتنبّي فكان خير ممثّل لشعراء المديح، فانتقل من ملك إلى ملك ومن أمير إلى أمير وشهرته تسبقه، فاصطاد أبعد الصور وامتطى أجمل التعابير فختم على غيره من الشعراء وسدّ الباب على كبار شعراء المديح قبله وبعده.

وقد ظل شعر المديح المتكسّب يتردّد على مسامع النّاس بعد العصور العباسيّة، ولكنّه سجّل انحدارًا بعد هذا العلوّ الشاهق. فأصبح الشعراء يلحّون في طلب المال فيبيعون شعرهم ونفوسهم. وإن كان المتنبّي قد طلب في شعره ضيعة أو ولاية من ممدوحه فإنّ الشّاعر عمارة اليمني طلب من أحد الممدوحين قائلًا:

فآمُنُنْ عليَّ بنصفِ الألفِ راتبةً فَقَدْرُ ودّكَ لا يَحْويه مِقدَارُ

مقسومة في شهور العام تحمل لي أقساطُها كلَّ شهرٍ وهي إدرارُ

فهو يطلب المبلغ ويرى قسمته على أشهر السنة أقساطًا يعيش بها شهريًّا. وهذا سقوط ظاهر في القول والعمل إلى مرتبة التسوّل.

وقد ظلّ شعراء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يقلّدون الشعر القديم ويتّخذون من ألفاظه ومعانيه ميدانًا يرتعون فيه. فها هو البارودي يعيد للمديح أسلوبه المتين ووجهه الأصيل في مدح الخديوي، ثم يسير حافظ ابراهيم على منوال القدماء في نصرة الملوك للدين ورفعة الإسلام وتقليد الخلفاء الراشدين لعلّ الإسلام يستعيد مكانته ويرتفع لواؤه في كلّ جانب. ثم لا يلبث أحمد شوقي أن يحمل لواء المديح في هذا العصر، فيمتدح العظماء لعكوفهم على الدين ونصرتهم للإسلام، فهو كشعرائنا القدماء سواء بسواء. ولكنّ شوقي لا يقف عند هذه الحدود بل يعود إلى ماضي مصر فيمتدح ملوكها القدماء وينتقل إلى ملوك مصر المعاصرين.